الاستيطان في منطقة شمال الضفة (نابلس ـ جنين)

تتميّز منطقة شمال الضفة الفلسطينية المحتلة بالكثافة السكانية العالية و«الوعورة» من ناحية تضاريسها، ويعتقد ان هاتين السمتين لعبتا دوراً رئيساً في تأخير عمليات الاستيطان في المنطقة، والتي بدأت عملياً العام ١٩٧٥ وعرفت نشاطاً محموماً لم يتوقف حتى الآن. وبحسب بعض الباحثين، فان «الاحداث التي أعقبت اتفاقيتي كامب ديفيد وبدء مفاوضات الحكم الذاتي، جعلت السلطات الاسرائيلية تركز على الاستيطان في هذه المنطقة لتشمل عمليات الاستيطان كل الضفة الفلسطينية وذلك للحيلولة دون قيام الدولة الفلسطينية»[٢٦].

اذاً، فقد بدأ النشاط الاستيطاني في المنطقة العام ١٩٧٥، وكما حدث في مناطق أخرى، فانه بدأ على انقاض معسكرات الجيش الاردني، و«توجهت جهود الاستيطان، في البداية، نحو المنطقة الواقعة شمال منطقة نابلس، وذلك للسيطرة على مفارق الطرق الاستراتيجية... ولاكمال الاتصال الاستيطاني بين منطقة الاغوار ومنطقة الساحل الفلسطيني»[٢٧].

أولى المستوطنات التي أُقيمت العام ١٩٧٥ مستوطنة كدوميم وهي أكبر المستوطنات في المنطقة. وتمّ تأسيسها على مئات الدونمات التي صودرت من أراضي كفر قدوم وأُقيمت، في الوقت عينه، تقريباً مستوطنة سانور بالقرب من جبع قضاء جنين، على أراضٍ كانت تعرف باسم «معسكر ترسله». وراهناً تتوزع المستوطنات، جغرافياً، على جميع محاور نابلس وجنين. ففي نابلس تتركّز هذه المستوطنات على محورين رئيسين هما: المحور الشرقي حيث تتركّز المستوطنات الزراعية في أراضي الغور، والمحور الغربي حيث المستوطنات من طراز «يشوف كهيلاتي» (مستوطنات ريفية تستخدم للاقامة) ومن بينها مستوطنات كبرى مثل اريئيل والون موريه اللتين لعبتا دوراً كبيراً كمعبر للاستيطان في منطقة نابلس كلها[٢٨]. وشهدت مدينة نابلس محاولات لغرس بؤرة استيطانية داخلها، فأُقيمت مستوطنة براخا على سفح جبل جرزيم، واستولى مستوطنون على «قبر يوسف» الذي أصبح بؤرة استيطانية داخل المدينة. وفي منطقة جنين، تتركّز المستوطنات حول بلدة يعبد. وشهدت المنطقتان، في خلال العامين الماضيين، عمليات مصادرة كثيفة للاراضي فيهما بغية توسيع المستوطنات وشق الطرق الاستيطانية. ففي أيار (مايو) ١٩٩١، صادرت السلطات الاسرائيلية ٨٠ دونماً من أراضي قرية دير الحطب و٣٠ دونماً من أراضي قرية الساوية، وصودرت مساحات جديدة من قرية ديراستيا بغية ايجاد طريق الى أراضٍ مصادرة من ديراستيا منذ العام ١٩٨٦ وتبلغ مساحتها ١٣٠٠ دونماً[٢٩]. وفي إطار الهجمة الاستيطانية العام ١٩٩١، تمّ وضع نواة مستوطنة باسم «برطعة عليت» بواسطة ٥٠ بيتاً جاهزاً وذلك على مساحة مصادرة من اراضي برطعة الشرقية، وأضيفت وحدات سكنية جاهزة الى مستوطنة «مافوه دوتان» القريبة من يعبد.

وبالاجمال، ففي الشهور الستة الاولى من العام ١٩٩١ تمّت مصادرة خمسة آلاف دونم من أراضي منطقة نابلس، وفق تقديرات مصادر فلسطينية[٣٠]، واستخدمت الاراضي المصادرة، جميعها، في تشييد بؤر استيطانية، وتوسيع مستوطنات قائمة، ولشقّ وتوسيع الطرق الاستيطانية.

وبالنظر الى توزع المستوطنات في منطقة شمال الضفة يتأكد الهدف الاسرائيلي في ايجاد اتصال بواسطة المستوطنات بين الساحل والاغوار المحاذية لمنطقة نابلس حيث يمكن رصد خط من المستوطنات يبدأ في أقصى شمال نابلس من مستوطنة ميحولا ثم يهبط الى مستوطنات شيدموت ميحولا وروعي، ليبدا بالانحراف غرباً من خلال مستوطنات بقعوت ـ حمرا ـ الون موريه، وشافي